" أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة" (غلا ٤: ٤)

الأخت باسمة الخوري الأنطونية (بيبليا ٢٠٠٢)

"فلما تمّ الزمان أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة، مولوداً في حكم الشريعة ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة، فنحظى بالتبني".

في معرض دفاعه عن إنجيله ورسالته (غلا ١: ٨-٩) ضد المتهوّدين في غلاطية (غلا ١: ٦ت)، يؤكد بولس أن الله نفسه دعاه ليعلن إنجيله للأمم (١: ١٦) بمعزل عن رؤساء أورشليم (١: ١٦- ٢٢)، الذين اعترفوا بدعوته لاحقاً (٢: ١- ١٠). ويشرح بولس جوهر إنجيله القائم على إيمانه بيسوع المسيح، إنطلاقاً من شخصية يسوع المسيح ابن الله المرسل الى العالم لخلاصه.

منذ بدء الرسالة يعلن بولس بأنه رسول " لا من قبل الناس ولا بمشيءة إنسان، بل بمشيئة يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من بين الأموات" رابطاً بشكل جوهري ما بين الله الآب ويسوع. وفي غلا ١: ٣ يكمل في الخط عينه "السلام من لدن أبينا والرب يسوع المسيح الذي جاد بنفسه من أجل خطايانا لينقذنا من دنيا الشر هذه، عملاً بمشيئة إلهنا وأبينا".

يكمن جوهر بشارة بولس إذاً بكونه يعلن يسوع **إبن الله، مخلّص** البشر بحسب **إرادة الله** الآب (غلا ٢: ٢٠؛راجع أفس ٥: ٢، ٢٥؛ رو ٤: ٢٤؛ ٨: ٣٢؛ ١ تيم ٢: ٦؛ طيطس ٢: ١٤). فليس هناك إذاً سوى إنجيل واحد، هو الذي يبشّر به بولس (غلا ١: ٦، ٧؛ ٢: ٥، ٧، ١٤)، يجعل من كل المؤمنين واحداً بيسوع المخلّص (غلا ٣: ٢٦-٢٨ ؛ ٦: ١٥).

يكمل بولس عرضه في غلا ٤: ٤-١١، ليبرهن بأن البشر قبل يسوع كانوا أطفالاً، قاصرين، تحت سلطة الشريعة طالما بقوا متعلّقين بيهوديتهم (٣: ٢٣- ٢٥)، لكن عندما " تمّ الزمان أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة، مولوداً في حكم الشريعة ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة، فنحظى بالتبني"،

"والدليل على أنكم أبناء أن الله أرسل روح ابنه الى قلوبنا الروح الذي ينادي يا أبت" (٤: ٦). بفضل المبادرة الإلهية هذه، لم يعد المؤمنون قاصرين بل أبناء وارثين (٤: ٧). لتحقيق هذا الخلاص وإعطاء الحياة بشكل كامل للناس على أنهم أبناء الله، كان على الله أن يرسل ابنه في ملء الأزمنة. في هذه العبارة عودة الى لغة الاسكاتولوجية اليهودية التي كان المسيحيون الأوائل يستعملونها[١]. في غلا ٤: ٤ نجد صورة الابن المرسل التي يرسمها مرقس من خلال مثل الكرامين القتلة[٢] مع الفرق بأن مرقس يعلن بأن الله أرسل لشعب إسرائيل العديد من المرسَلين، وأمام قساوة قلبه وعدم طاعته، "أرسل ابنه الوحيد "، وهي عبارة يستعملها بولس في رو ٨: ٣، ونجدها في يو ٣: ١٦ و في ١ يو ٤: ٩.

أرسل الله ابنه الى العالم

يبدو أن هذه العقيدة قديمة جداً في المسيحية، وهي تدلّ بشكل أساسي على سلطة يسوع المنبثقة من كونه رسول الله الوحيد. ويحاول بولس ويوحنا عرض النتائج الإيجابية لهذه الرسالة من حيث حصول المؤمنين على الحياة، في حين يعرض مرقس نتائجها السلبية على إسرائيل الذي رفض قبولها.

بالنسبة الى بولس كما الى يوحنا، يسوع هو الإبن الأزلي الذي كان مع الآب قبل أن يُرسله الآب الى العالم[٣]. في غلا ٤:٤، كما عند يوحنا، يعلن القديس بولس بأن "الله أرسل ابنه"، ولكن يمكن أن يظن القاريء بأن ما يريد بولس التركيز عليه ليس أزلية الابن بل التأكيد على إرادة الله بالفداء

---

[١] راجع أولى كلمات يسوع بحسب القديس مرقس "تمّ الوقت واقترب ملكوت الله" (مر ١: ١٥).

٢ وفي مثل الكرامين القتلة (مر ١٢: ١-٩) يرسل صاحب الحقل العديدين قبل أن يرسل في النهاية ابنه الوحيد (آ ٦). من الواضح أن الله هو صاحب الحقل، ويسوع هو الابن الوحيد.

[٣] يسوع هو المرسل الى هذا العالم من قبل الآب هو لاهوت يميّز الإنجيل الرابع حيث نجد هذه الصورة مع الفعل أرسل ***peimpein*** ٢٤ مرّة (راجع يو ٤: ٣٤؛ ٥: ٢٤) و ***apostellein*** ١٥ مرّة (راجع ٨: ٤٢ و ١٠: ٣٦). وهذا ما تؤكّده رسالة يوحنا الأولى "هكذا ظهرت محبة الله بيننا، بأنه أرسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيا به" (١ يو ٤: ٩)، مما يعيد الى القاريء ما يقوله انجيل يوحنا "لأن الله لم يرسل ابنه الى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم". بإرسال الله ابنه الى العالم يفترض يوحنا أزلية يسوع، وهذا ما ليس واضحاً تماماً في كامل العهد الجديد (راجع عبر ١٠: ٧).

"ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة". هذا صحيح إن ربطنا غلا ٤: ٤ بإرسال الله للإبن في مر ٩: ٣٧ و١٢: ٦؛ لكن ما يجب الانتباه له هو أن عنصراً جديداً يدخل في غلا ٤:٤ كما في رو ٨: ٣ هو "التجسد" مما يعني ارتباطه جوهرياً بالأزلية.

بالمقارنة مع يو ٣: ١٦ و ١ يو ٤: ٩ تبدو غلا ٤: ٤ وكأنها إعلان ليتورجي لتجسّد إبن الله الأزلي حاملاً الخلاص للعالم المائت بسبب خطيئته كما يؤكّد في رو ٨: ٣ "فالذي لم تستطعه الشريعة، والجسد قد أعياها، حقّقه الله بإرسال ابنه في جسد يشبه جسدنا الخاطيء كفّارة للخطيئة". وفي كلامه عن "جسدنا الخاطيء" عودة لفكرة الانسانية المائتة بسبب الخطيئة كما في رو ٥: ١٢-١٤ وللتأكيد بأن يسوع تشبّه بالبشر كما في فيل ٢: ٧. وفي الحالتين هناك جمع للاهوت التجسّد والفداء مع لاهوت أزلية الإبن.

إبن الله ولاهوت التجسّد

يعتقد العديد من علماء الكتاب المقدس بأن بولس لا يعرف ما يعرفه متى ولوقا من أناجيل الطفولة؛ وأن الأخبار المتعلّقة بطفولة يسوع تعود الى فترة متأخّرة من تطوّر الفكر المسيحاني في الكنيسة الأولى، في حين أن بولس يعود، كما مرقس، الى الكتابات المسيحية الأولى التي لا تعرف شيئاً عن ولادة يسوع "من عذراء"، وعن طفولته الأولى. لكن بعض شارحي العهد الجديد يرون أن ذلك لا يرتكز على براهين أكيدة[٤]. ففي عودة الى رو ١: ٣ "في شأن ابنه الذي ولد من نسل داود بحسب الطبيعة البشرية"؛ والى غلا ٤: ٤ "أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة، مولوداً في حكم الشريعة"؛ والى فيل ٢: ٧ "تجرّد من ذاته متّخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر" نجد أن بولس يستعمل، للكلام عن ولادة يسوع،

[٤] C.E.B Cranfield, " Some Reflections on the Subject of the Virgin Birth", SJT 41 (1988) 177-98; J. McHugh, The Mother of Jesus in the New Testament, London, 1975.

الفعل اليوناني gi`nomai ، بدل genna`omai وهو الأكثر استعمالاً في العهد الجديد وفي السبعينية[٥]، والذي يستعمله عندما يتعلق الأمر بهاجر وسارة (غلا ٤: ٢٣؛ ٤: ٢٩).

في كلام بولس عن ولادة يسوع تحت الشريعة في غلا ٤: ٤عودة الى أناجيل الطفولة بحسب لوقا (٢: ٢١-٢٤، ٢٧، ٣٩) مما يمكّننا من الاعتقاد بأن الولادة من بتول أقدم مما نعتقد. فاختلاف الأناجيل المتعلّقة بالطفولة بين متى ولوقا، واتفاقهما على الحبل الإلهي وبنوة يسوع الإلهية، يجعلنا نظن بأن بتولية أم يسوع ابن الله كانت معروفة من قبل الإثنين على السواء، وبأن هذا الاعتقاد قديم جداً بين المؤمنين[٦]. يتكلم بولس عن إرسال الله "ابنه" من إمرأة. فيسوع هو إذاً ابن الله، وهذا واضح لا جدل فيه. فإن كان بولس لا يأتي أبداً على ذكر أب يسوع الإلهي ، فهو لا يذكر أبداً والداً بشرياً له، في حين يتكلم عن أمه المرأة البشرية. ولا بد أن يكون إختياره للفعل في كلامه عن ولادة يسوع مقصوداً وإلا فلمَ لم يقتصر على استعمال الفعل العادي genna`omai ؟ يسوع بالنسبة لبولس هو ابن الله الأزلي وقد أتى من الآب، من إمرأة، بواسطة ولادة بشرية ولكن غير عادية.

غلا ٤: ٤ والتبني الإلهي

[٥] نجد الفعل gi`nomai في يو ٨: ٥٨ "قبل أن يكون أبراهيم **أنا هو** (gene`sqai) وفي ذلك عودة الى وقت إبراهيم أكثر منه الى الولادة ذاتها.

[٦] إن بولس من الشهود الأوئل لهذه العقائد التي كانت منتشرة بين المسيحيين الأوائل وفي أماكن متعددة. ولنا في الشواهد التي تدل على تأثيرات متبادلة بين لوقا وبولس تأكيد على ذلك (العشاء الأخير، ظهورات يسوع القائم من الموت لبطرس)، هذه التأثيرات لا بد وأن تكون قد طالت روايات ولادة المسيح من بتول.

"أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة... فنحظى بالتبني". في هذه الملاحظة السريعة وغير المباشرة لأزلية يسوع ، ربط لحالة المسيحيين بحالة المسيح (كما في غلا ٣: ٢٦-٢٨). إن حالة الإبن هي ذاتها حالة المؤمنين به الذين يحصلون بالإبن المرسَل على كينونة جديدة. أن التبني الذي أنعم الله بنا عليه بيسوع المسيح ابنه الوحيد ليس وضعاً قانونياً شبيهاً بما يحصل عليه في التبني البشري، إنه ولادة جديدة بالله، بنوة الهية لم يكن الإنسان ليحلم بها على ما تؤكده رسالة يوحنا الأولى "أنظروا أي محبة خصّنا بها الآب لنُدعى أبناء الله، وإننا كذلك" (١ يو ٣: ١).

إن الإنجيل هو جوهرياً دعوة جديدة من قبل الله في نهاية الأزمنة. إنه دعوة بيسوع المسيح كي يخلص البشر بالإيمان من الغضب الاسكاتولوجي. لم تتحقق بنوّتنا نهائياً بعد، لكن تمام هذا التبني، نحصل عليه بالرجاء لأن المؤمن لم يعد تحت حكم الشريعة بل تحت نعمة الله بالمسيح يسوع، رسول الله الآب وابنه الوحيد الذي أخذ جسداً بشرياً من امرأة ليهبنا التبني. هنا يكمن لبّ البشارة الجديدة، إنجيل بولس.